ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities
كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

Mushtaq Taleb Sarheed Jarad

Directorate General of Education in Salah al-Din

Adnan Mahmoud Abdul Ghani

Directorate General of Education in Salah al-Din

Muayad Mousa Ahmed Al-Jubouri

Tikrit University – College of Education

* *Corresponding author: E-mail* :
mashtaq.t.sarhed@tu.edu.iq
07800795069

Keywords:
Spies
Marriages
Security
Truce
military

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 17 June 2025
Available online 17 June 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Security and Political Measures in Foreign Affairs in the Emirate of Granada (701–733 AH / 1301–1332 AD)

A B S T R A C T

The Emirate of Granada, which represented the last stronghold of Muslims in the southern Iberian Peninsula, encompassed cities that had not fallen into the hands of the Christians. As such, it was imperative for Granada to protect Islam and Muslims, which required the establishment of a strong force capable of defending its land and people. To achieve this, Granada took political and security measures in its foreign relations, including the signing of treaties, making pacts, offering gifts, arranging marriages, deploying espionage tactics, military deceptions, and engaging in military battles with enemies seeking to seize its territory.

The research is divided into two main sections, followed by the conclusion outlining the findings. Historical sources and references were utilized, and a narrative historical approach was followed in presenting the research.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.6.1.2025.16

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

التدابير الأمنية والسياسية في الشأن الخارجي في سلطنة غرناطة من سنة (701 – 733هـ /1301 – 1332م).

مشتاق طالب سرهيد جراد/ المديرية العامة لتربية صلاح الدين

عدنان محمود عبد الغني/ المديرية العامة لتربية صلاح الدين

مؤيد موسى احمد الجبوري/_جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

كان لسلطنة غرناطة، وهي التي مثلت أخر معقل للمسلمين في الجنوب الأندلسي وضمت المدن التي لم تسقط في يد النصارى وبذلك كان من الواجب عليها حماية الإسلام والمسلمين، وذلك الشي يتطلب منها

تكوين قوة قادر للدفاع عن أرضها وشعبها فأخذت التدابير السياسية والامنية في الشأن الخارجي في عقد المعاهدات والمصالحات وتقديم الهدايا والمصاهرات والخدع العسكرية والمراوغات والمعارك العسكرية في المواجهات مع الاعداء الطامعين فيها.

وقسم البحث الى مبحثين وجاء بهذا الملخص والمقدمة وبعدها بخاتمة بما توصل البحث اليه من نتائج واستخدمنا المصادر والمراجع التاريخية المهمة واتبعنا المنهج التاريخي السردي في عرض البحث.

الكلمات المفتاحية: الجواسيس، المصاهرات، الامن، الصلح، العسكري، سبتة.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

لقد سطر لنا العرب المسلمون سجلا حافلا بالانتصارات والمنجزات الحضارية ، والتنظيمات الإدارية والسياسية والعسكرية وكانت مناراً يحتذى به للأجيال اللاحقة فقد ظهر منهم قادة في الفن العسكري وعلماء ومفكرين لازالت آثارهم باقية إلى يومنا هذا.

ويعد تاريخ الاندلس وما احتوى عليه تاريخه الحافل بالمنجزات والتحديات واصناف الصمود في مواجه العدو الخارجي النصراني ومن آزرهم وكان لسلطنة غرناطة النصيب الاوفر في مواجهة هذه التحديات والمخاطر سواء الداخلية منها أو الخارجية.

قد تصدى لكتابة تاريخ غرناطة الكثير من الباحثين والمهتمين بتاريخ الاندلس ، فهناك الكثير من الدراسات التي تناولت الجوانب السياسية والمنجزات الحضارية التي زخر بها تاريخ غرناطة الا اني لاحظت قلة من تناول دراسة التدابير الامنية بمختلف انواعها مما شجعني إلى التصدي لموضوع (التدابير الأمنية والسياسية في الشأن الخارجي في سلطنة غرناطة من سنة (701 ــ 733هـ/1301 ــ 1332م). واتخذته عنواناً لبحثي (المستل من الاطروحة) عسى أن أوفق في أن أظهر معالم التدابير الامنية التي قام بها سلاطين غرناطة في حماية هذه المنجزات الحضارية من تحديات الاعداء الطامعين، وهنا تكمن أهمية الموضوع.

وجاء المبحث الاول عن التدابير الامنية في سلطنة غرناطة سنة(701 ــ 713هـ) اما المبحث الثاني فهو التدابير الامنية في سلطنة غرناطة سنة(713 ــ 733هـ).

المبحث الاول.

أولاً: مفهوم التدبير في اللغة والاصطلاح.

ـ التدبير لغةً.

التدبير مصدر دبر تدبيراً إذا علق العتق بالموت، سُمي بذلك لأنه يعتق بعدما يدبر سيده ، والممات دبر الحياة ، ودبر الامر، وتدبره نظِر في عاقبته، ودبر الأمر(آخره) والدبرة خلاف القبلة، وهو مشتق من إدباره من الدنيا(الزركشي، 2002، ص453) قال تعالى:(يُدَبِّرُ الأَمْرَ من السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ) (سورة السجدة، الآية 5)، وقال جل وعلا :(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ) (سورة يونس، الآية 3).

ـ التدبير اصطلاحاً .

والتدبير(هو تثبيت الملك وقواعده وحراسته من الأعداء المنازعين فيه حالة قبل استقراره عند المنازعة فيهن، والمحاربة عليه فيساس بالقوة في حراسته والذب عنه حتى تستقر قواعده، وبالرأي في تدبيره حتى ينتظم على اعتداله، و بالمكيدة في انتهاز فرصته ودفع غوائله، وحاله بعد استقراره في السلم والدعة فيساس بأمرين بالقوة الحافظة لقواعده المستقرة، وبالرأي الجامع للسياسة العادلة، ولا حاجة إلى استعمال المكيدة فيه عند السلم والموادعة) (الماوردي، 1981، ص222 –223) .

ثانياً: الامن في اللغة و الاصطلاح.

ـ الامن في اللغة : الأمن ضد الخوف والفعل منه أمن يأمن أمنا والمأمن موضع الأمن الأمنة من الأمن اسم موضوع من أمنت والأمان إعطاء الأمنة والأمانة نقيض الخيانة والمفعول مأمون وأمين ومؤتمن من ائتمنه(الماوردي، 1981، ص222) .

ـ الامن في الاصطلاح: هو حد عبارات الشعور بالسلم، والسلام، ولاطمئنان من الخوف بعد اختفاء اسبابه على حياة الفرد، والمجتمع(الراغب الأصفهاني، 1961، ص25) ، (التركي، 2001، ص14) ، وهي الاجراءات التي يتخذها المقر لحماية نفسه من التجسس او الترصد او التخريب او المباغتة(عوض، 2017، ص62) .

التدابير السياسية والامنية في الشؤون الخارجية في سلطنة غرناطة من سنة (701هـ ـ 733هـ /1301 ـ 1332م).

اولاً : (701هـ ـ 713هـ /1301 ـ 1313م)

أ: التدبير السياسي الخارجي التحالفات وتقديم الهدايا .

خلف الفقيه على السلطة أبنهُ محمد الثالث أبو عبد الله في سنة (701هـ/1301م) والذي لقب بالمخلوع كانت علاقته على الصعيد الخارجي طيبة حيث قال عنه لسان الدين:(فقد خدمته السعود، وأملت بابه الفتوح، وسالمته الملوك، وكانت أيامه أعياداً) (ابن الخطيب، 2003، ص316) ، لا سيما مع امير تلمسان محمد بن الواثق بالله بن المستنصر بن ابا حفص جيدة حيث، وقعت بينهم المراسلات والهدايا(لسان الدين، 1928، ص321) ، (الناصري، 1997، ص82) ، وكان يود التقرب من بني مرين حيث اول عمل قام به أرسل الداني أبا يعقوب، وكاتبه أبا عبد الله بن الحكيم قبل التاريخ اعلاه أي سنة (702هـ/1302م) على راس فرقة من الجيش لمساعدة يوسف سلطان المغرب عند حصار تلمسان،

وكانت لهم تأثير ونكاية بالأعداء، وتوجه إلى مواصلة الجهاد، والزحف نحو قشتالة(الحموي، د.ت، ص352) فأحتل عدد من حصونهم في اطراف جيان : بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة من اعمال البيرة الوادي الكبير (الحموي، د.ت، ص195) ، (جراد، 2021، ص325) وبالقرب منها(ابن خلدون، 1984، ص301) ، (الناصري، 1997، ص82) ، وهجم على مدينة المنظر وسيطر عليها بقوة السيف وغنم على كل ما احتوت عليه المدينة وكان ذلك نصرا كبيرا ، وغنم الاموال وسبي من النساء الكثير، وكانت مع جملة من السبي اميرة فائقة الجمال وهي(الزعيمة صاحبة المدينة، من أفراد عقائل الروم، فقدمت الحضرة في جملة السبي، نبيهة المركب، ظاهرة الملبس، رائقة الجمال) (لسان الدين، 1928، ص318) ، واهداها للسلطان الناصر يوسف فأتخذها لنفسه، وذلك لتوثيق الصلة بينهم(لسان الدين، 1928، ص318) ، لكن سرعان ما فسد بين سلطان يوسف سلطان المغرب، ومحمد الثالث المخلوع سنة (703هـ/1303م) وذلك لسماع السلطان قيامه بتجديد المعاهدة مع النصارى ضد بني مرين(ابن خلدون، 1984، ص301) .

ب: التدبير السياسي الخارجي في الصلح وتجديد المعاهدات.

قام المخلوع بتجديد العهد والميثاق بينه وبين(لسان الدين، 1928، ص321) ، ملك قشتالة وأسمه فرانده (فردلند) بن سانجه الرابع (712هـ/1312م) على الجانب الخارجي أيضاً(ابن خلدون، 1984، ص302؛ الناصري، 1997، ص82) ، ولمدة ثلاث سنوات ضد المسلمين في المغرب، وحدثت المنافسات بينهم ، اخذ بني مرين إلى ارجاع الفرقة العسكرية التابعة لبني الاحمر والتي كانت محاصرة لتلمسان لمدة سنة إلى غرناطة، واتخذوا موقف مضاد من المخلوع بعقد معاهدة مع ملك أراغون خايمي الثاني(الناصري، 1997، ص82) ، من اجل تحريضهم ضد المخلوع أبو عبد الله ابن الفقيه ابن الأحمر محمد الثالث لكن لم يلبي ملك اراغون غايتهم بل قام ملكهم بتحسين العلاقة مع ابن الاحمر وتجديد معاهدة (695هـ/1295م)، وتعديل بنودها وتم تجديدها سنة (701هـ/1301م) والاتفاق على بنودها(عنان، 1997، ص110–112؛ عبدالله، 1996، ص121) وكان نقض المعاهدات سمة غالبة لدى النصارى حيث اخذت قشتالة واراغون سنة (807هـ/1404م) بعقد معاهدة سرية بينهم من اجل توحد السيف ضد غرناطة، والهجوم على الجزيرة الخضراء والمرية ويكون لقاء الجيشين في غرناطة، وذلك لتفتيت وضرب الوحدة بين المغرب والأندلس لان التقارب بينهم ازعجه(الطوخي، 1997، ص34؛ فرحات، 1993، ص30؛ عبدالله، 1996، ص122) ، وعاد المخلوع على منوال اسلافه من سلاطين غرناطة الذين سبقوه في تفادي التصادم مع قشتالة وأمراءها(ابن خلدون، 1984، ص302) .

د: التدبير السياسي الخارجي في انتزاع سبتة .

لم يكتف بذلك المخلوع بعقد المعاهدة مع قشتالة حيث قام بتدبير خارجي من أجل انتزاع سبته(الناصري، 1997، ص82؛ الطوخي، 1997، ص34) ، من ابي طالب عبد الله بن ابو القاسم بن

أبا العباس العزفي(لسان الدين، 1928، ص322؛ الناصري، 1997، ص82) ، واعطاء الضوء الاخضر إلى أحد ابناء عمومته الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل المسؤول عن مالقة لتدبير التدخل والخداع، والمناورة، والمراوغة على سبتة، وخدع اهلها بان العدو على مشارف مالقة، ويرغب بمشاركتهم بالدفاع عنها(لسان الدين، 1928، ص322) ، وحرض اهلها لنزع طاعة يوسف الناصر، وكان معه ابناء أبو طالب تمكن الوزير ابن الحكيم بعد سماع الخبر من دخول سبتة في شوال عام (705هـ/1305م) ونادى بالناس بالأمان، وتم نقلهم لمالقة، وانتزعوا الملك منهم، واخذوا الخزائن، والذخائر، ودخل المدينة مع جيشه واساطيله(الناصري، 1997، ص82) ، مباغتا أهلها ونقل ابناء وحاشية العزفي إلى مالقة ومنها إلى غرناطة، واستقبلهم المخلوع واحتفل بهم وانزلهم في قصوره واستمروا في الاندلس مدة من الزمن وبعدها رجعوا للمغرب(ابن الخطيب، د.ت، ص53؛ ابن خلدون، 1984، ص302؛ الناصري، 1997، ص82؛ الناصري، 1997، ص113-114) .

اخذ أبا سعيد يستقل في أمر سبتة، وغدر بأهلها(ابن خلدون، 1984، ص221) ، وقاتل في اطرافها وسد الثغور وحشدها بالجيوش، وعند وصول الخبر لسلطان المغرب غضب لذلك الخبر فبعث ابنه إبراهيم أبا سالم على راس جيش كبير لحصار سبتة بعد جمع القبائل من الريف، لكنه لم يحقق نتائج على الارض فسخط السلطان على تلك النتيجة، وترك سبته موقتا لأهل غرناطة لانشغاله بحصار تلمسان، وتوفي في ذي الحجة سنة (706هـ/1306م)، قتيلا على يد كبار الخصيان اسمه سعادة، وتم الامساك به وقتله، وتولى بعده حفيده أبا ثابت عامر ابن عبد الله بن يوسف بن يعقوب(ابن خلدون، 1984، ص301؛ الناصري، 1997، ص82، ص85) ، اتجه ابا ثابت عن استلام السلطة الهجوم على بلاد غمارة التي فيها ابا العلاء التابع لقوات ابن الاحمر لضرب دعوته فيها التي كادت تطيح بملكه ويحرر سبتة من المخلوع المسيطر عليها لا سيما انها صارت بؤرة لمن اراد التمرد والخروج(ابن خلدون، 1984، ص313) ، والانتزاء(ابن منظور، 1311، ص320) على السلطة من اقربائه، والوافدين اليها، ومن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين قرب البحر، وسار ابو ثابت على راس الجيش لقتال ابي العلاء لكن ارتد، ولم يحرز النصر عليه، وحاول حصار تطوان، من اجل السيطرة على سبتة واخذها من ابن الاحمر(الناصري، 1997، ص95، ص97) ، قام ابا ثابت بمفاوضة المخلوع(لسان الدين، 1928، ص321) ، من اجل استرداد سبتة لكن توفي ابا ثابت سنة (708هـ/1308م) قبل وصول جواب ابن الاحمر المخلوع(الناصري، 1997، ص97؛ فرحات، 1993، ص31) .

استمر ابي العلاء عثمان بن إدريس مع الجيش الاندلسي، وجند الفرنج تبع اثر الجيش المريني لعلهم يحرزون النصر فتم النصر عليهم من قبل الجيش المريني وقتل الكثير من جيش الاندلس، وبعد هذه الهزيمة فشل في تحقيق غايته في المغرب فأخذ بالاتجاه إلى الاندلس واخذ يزاحم بني الاحمر على السلطة لسنوات ولكن سلاطين غرناطة اخذوا تدبير المصانعة معه(الناصري، 1997، ص96-97) ، تولى بعد ابا ثابت عمه السلطة في المغرب ابي الربيع سليمان بن عبد الله، وسجن عمه ابن زريقاء

ومات في سجنه ليمنعه من الوثوب على السلطة قام ابي الربيع برد الهجوم الذي قام به ابي العلاء وطرده وقتل اولاده والكثير من جنده (الناصري، 1997، ص97) ، وبعد سماع سلطان المغرب أن اهل سبتة سئموا نيران اهل الاندلس فبعث لهم حملة وعند وصولها ثار اهل البلد ضد جيوش الاندلس وتم طردهم مع عمالهم وكان ذلك سنة (709هـ/1309م) (عنان، 1997، ص115) .

هـ: التدبير في النظام العسكري .

ـ العيون والجواسيس:

كان للعيون دور مهم في وقت السلم والحرب، وحيث نجد عند حملة خايمي الاول ملك اراغون سنة (709هـ/1309م) عندما هاجم المرية قام احد الجواسيس الذي يعمل لصالح غرناطة بتقدم المساعدة لهم على انتزاع المدينة من العدو(الطوخي، 1997، ص230) ، ومن يقوم بتلك العملية هم من اليهود والنصارى ومن الافضل عند استخدام العيون ان لا يكونوا من المسيحيين، ويكونوا جماعة كبيرة، وكانت المهنة او الصنعة يتخفون بها رغم انها مسموحة وشرعية مثل مهنة التجارة او السياحة ومن التدابير المهمة لا يعرف احد المهمة الموكلة لمثيله الجاسوس الآخر رغم انهم يعملون لصالح سلطنة غرناطة وكانت الجهة المسؤولة عنهم يصل لها ايجاز عما يقومون به من اعمال تجسسيه لصالحها عن كل واحد منهم على انفراد خشية ان يكشف امره او ربما يستخدم ذلك العمل ضده او مستمسك ضده ويهدده عند الدولة التي يتجسس عليه(العبادي، 2000، ص236؛ الطوخي، 1997، ص230) .

وبما يناسب ذلك قول تزو:" لا يجب على الجواسيس ان يعرفوا اي شيء اكثر مما ينبغي ويجب الحرص منهم دائما اذ يمكن ان يكونوا مزدوجين او ينشقوا عليك فيما بعد"(سون، 2006، ص92) .

ـ الخدع العسكرية.

وقد اتبع اهل غرناطة جميع الخدع، والوسائل العسكرية الدفاعية من اجل رد العدوان، والذود عن مدنهم منها ما يناسب المقام في سنة (709هـ/1309م) وعندما حاصر النصارى ثغر المرية اجتمعوا ضد العدو وتم كشف خطته عندما كان متنكر بزي المسلمين والاجهاز عليهم وقتلهم(الطوخي، 1997، ص242) ، من تلك الخطط قال ابن خلدون:(وحفر العدو تحت الأرض مسربا مقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون واحتفر قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا من تحت الأرض")(ابن خلدون، 1984، ص329-330) ، لكن تم اسعاف النصارى بقوات اضافية لنجدتهم ضد المسلمين وشددوا الحصار عليهم، واخذ المسلمين بخطة وخدعة اخرى بعد تشاورهم فيما بينهم برمي الغائط على طريقهم فذلك اعظم نكاية بهم من الحرب وكان ذلك العمل احدث مسخرة بعضهم على بعض(العبادي، 2000، ص243؛ العبادي، د.ت، ص488 -489؛ الطوخي، 1997، ص242) ، ومن الخطط استخدام الحمام من نوع الزاجل من اجل نقل المعلومات العسكرية لا سيما عند حصار المرية سنة (709هـ/1309م) ونقل عن طريقها خبر موافقة العدو النصراني على الصلح بينهم وبين المسلمين مقابل المال(الطوخي، 1997، ص244) .

كانت ايام السلطان نصر ابن محمد الفقيه ابا الجيوش منحوسة إذ كان عليه أن يوجه تدبيره للطامعين على دولته وسلطانه في الخارج ، والثائرين عليه في الداخل، ومنذ نشوء سلطنة غرناطة تحالف أراغون وقشتالة مستغلين الخلافات الداخلية في غرناطة لنزاعهم على السلطة لوجود الفراغ السياسي، والخارجية مع المغرب حيث حاصر فرديناندو ملك قشتالة الجزيرة الخضراء سنة (709هـ/1309م) إلى آخر شعبان وخرج منها صلحا، وسيطر على جبل طارق ، وكان حليفهُ صاحب برشلونة خايمه الثاني محاصرا المرية بنفس التاريخ رغم وجود معاهدة بينهم(لسان الدين، 1928، ص258 –259؛ اللمحة البدرية، د.ت، ص62؛ ابن خلدون، 1984، ص317؛ الحجي، 1981، ص541؛ العبادي، د.ت، ص485) ، وبذل صاحب برشلونه جهودا كبيرة من أجل السيطرة على المرية ونشبت قرب المرية معارك طاحنة بين جيش غرناطة بقيادة أبي العلاء فهزمهم مما اضطروا لرفع الحصار عنها راغبين بالسلم، وتخلصت ثغر المرية من السقوط وتم عقد صلحا منفردا كل منهما ، واما جبل طارق فقط كثف النصارى عليه الحصار الطويل من البر والبحر حيث اضطر اهله للتسليم، وسقط الثغر المنيع نهاية (709هـ/1309م) وكان لسقوطه فاجعة على المغرب، والاندلس لأن كان البوابة الجنوبية المطلة على قواعده البحرية بين المملكتين الإسلاميتين(لسان الدين، 1928، ص258، ص259؛ اللمحة البدرية، د.ت، ص62؛ ابن خلدون، 1984، ص317؛ عنان، 1997، ص115–116؛ الحجي، 1981، ص541؛ العبادي، د.ت، ص485) .

و: التدبير السياسي بالتراضي والتصاهر مع سلطان المغرب بعد وارجاع سبته.

عند سماع اهل غرناطة بالعدوان والتحالف النصراني ضدها ثارت ثائرتهم في عصر المخلوع(الطوخي، 1997، ص34) ، بعد تسنم نصر السلطة في غرناطة (الحجي، 1981، ص541) ، وبعد طرد ابي العلاء من سبتة ورحلوا إلى الاندلس، وعند نهاية سلطة المخلوع ارسل نصر سفيرا من اجل الصلح والتراضي مع بني مرين مع أبا يحيى بن أبي صبر كبير فقهاء المغرب الذي اوفده السلطان ابا ثابت قبل وفاته حيث وصل الرد في عصر سلطان المغرب الجديد أبا الربيع سليمان، ومن بنود التراضي التنازل عن سبتة للمغرب وارجاع العلاقات الى سابق عهدها(الناصري، 1997، ص97) .

بعد تحالف النصارى ضد ابن الاحمر نصر، وطرد جيش غرناطة من سبتة بالمغرب في صفر سنة (709هـ/1309م) ، وخشي نصر ابي الجيوش من عاقبة سلطان المغرب، وغير نصر رايه إلى الصلح مع المغرب حيث اتجهت انظار نصر إلى الخارج مدبرا الصلح(ابن خلدون، 1984، ص317) ، راغبا بالسلم معهم بعدما كان سلطان المغرب أبي الربيع سليمان كما ذكرنا سابقا قام بإرجاع سبتة إلى المغرب، وبعد اتمام(ابن خلدون، 1984، ص317؛ الناصري، 1997، ص101؛ العبادي، د.ت، ص409) ،عقد الصلح بين غرناطة والمغرب في عصرهم، واخذ تدبيرا ايضا بالنزول لسلطان المغرب عن رندة والجزيرة من أجل ترغيب السلطان بالجهاد بالأندلس قبل السلطان ذلك، وعقد بينهم الصلح سنة (709هـ/1309م) (ابن خلدون، 1984، ص317؛ العبادي، د.ت، ص409).

اخذ ابي الجيوش تدبيرا آخر بالمصاهرة السياسية والموافقة على طلب مصاهرة السلطان ابي الربيع اليه بأخته فأعطاها له فقبلها سلطان غرناطة ، وارسل له لجهاد العدو الاموال والخيول مع عثمان بن عيسى اليرنياني، وكانت العلاقة جيدة لحين وفاة السلطان ابي الربيع (710هـ/1310م) (ابن خلدون، 1984، ص317؛ أرسلان، د.ت، ص91 –92) ، بعد الهدوء النسبي تنفس أهل الأندلس العافية ثم بعدها بدأت الفتن الداخلية، ورياح الخلافات تظهر، وكان وزير ابو الجيوش محمد بن الحاد أفسد نفوس الناس من أجل مساعدة الطاغية(لسان الدين، 1928، ص259؛ اللمحة البدرية، د.ت، ص63) ، كان أبي الجيوش قد أطمئن بان صهره الجديد ابا الربيع سوف يرسل له الجيوش، والاساطيل من اجل تحرير جبل طارق لكن كان في المغرب اضطراب في الجانب الداخلي بين الوزراء، والعامة واخذت الناس تدعو لخلع أبي الربيع، وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد فنهض السلطان للقضاء على الفتن الداخلية، والخارجية ، ومحاربة الخوارج، وبعدها بفترة اعتل، وتوفي بتازا سنة (710هـ/1310م) (الناصري، 1997، ص102 –103).

ز: التدبير السياسي الخارجي في المهادنة ودفع الجزية للعدو.

كان ابو الجيوش، وحيدا يقارع الاعداء من النصارى رغم عدتهم، وعددهم ، ولعدم توازن القوى بين الطرفين أخذ نصر تدبيرا خارجيا بمهادنة ومصانعة ملك قشتالة فرناندو الرابع والرضوخ للرياح العتية لحين تمكنه ، وتعهد له بدفع الجزية على أن يترك مملكته الاسلامية قائمة، وعدم تهديد ملكه(لسان الدين، د.ت، ص61؛ عنان، 1997، ص116).

المبحث الثاني.

التدابير السياسية والامنية في الشؤون الخارجية في سلطنة غرناطة من سنة (713 ـ 733هـ /1313 ـ 1332م)

أـ التدابير السياسية والعسكرية الخارجية برفض تسليم شيخ الغزاة للمغرب والاعتماد على القوة الذاتية الداخلية لرد العدو النصراني وامراءه الخمسة وعشرون.

بعد خلع نصر ابا الجيوش سنة (713هـ/1313م) تسنم السلطة إسماعيل أبا الوليد بعد ان قام والده أبا سعيد فرج بن إسماعيل المتولي على مالقة بتقديمه للملك(لسان الدين، د.ت، ص69؛ الحجي، 1981، ص541؛ الطوخي، 1997، ص35) ، وكان أبا الوليد له تدابير منها على الصعيد الخارجي قام السلطان إسماعيل بطلب العون من أبا سعيد سلطان المغرب، وارسل الوفود من، وجوه الاندلس الى فاس لكن سلطان المغرب رفض مساعدة الاندلس ضد العدو مطالبا مقابل ذلك تسليم شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء(ت،730هـ/1329م) (المقري، 1388 هـ، ص449؛ الناصري، 1997، ص187؛ الحجي، 1981، ص541)، قائد جيش غرناطة، وذلك بسبب النزاع مع اقربائه من بني مرين لا سيما موقفه من سبتة ضد المغرب، ولطمعه في عرش المغرب، اضف لها لعدم التشويش عليهم في جهادهم،

وبعد انتهاء الجهاد يرجعونه الى الاندلس، ورفض أبا الوليد طلبهم وذلك لبأس قائد الجيش وقوته ويخشى تفرق الكلمة بين المسلمين(المقري، 1388 هـ، ص449) .

بتلك الخطوات(ينظر: لسان الدين، 1928، 204/4، 200/1؛ اللمحة البدرية، د.ت، ص69؛ الحجي، 1981، ص541؛ الطوخي، 1997، ص36) ، شكلت ملامح شخصية أبا الوليد إسماعيل، وانعكست على نشاطه العسكري والسياسي، في بداية عصره هجم القشتاليون على ارض غرناطة وسيطروا على القواعد والحصون وهزموا المسلمين في صفر سنة(716هـ/1316م) في وادي فرتونة بقيادة بطرة الوصي على ملك الروم الفونسو الحادي عشر(لسان الدين، 1928، 207/1؛ اللمحة البدرية، د.ت، ص71) ، كان يعرف بطرة ان ملوك المغرب منذ مدة من الزمن منقطعين عن الجهاد في الاندلس منذ عصر سلطان المغرب يوسف لانشغاله بحصار تلمسان وجاء بعده احفاده للسلطة على المغرب رغم قصر مدة حكمهم لذلك تطاول العدو على الاندلس وبعد أن جاء الامر للسلطان عثمان أبا سعيد اخذت المشاكل بينه وبين ابنه علي وخروجه عليه لذلك كانت الفرصة سانحة ومؤاتية للعدو للتحرك ضد الاندلس وزحف عليها ملك قشتالة بعد أن توجه إلى طليطلة، واخذ مباركة البابا بعد سجوده بين يديه من اجل اخذ ما بقى من ارض المسلمين في الاندلس فوافق البابا وجهزوا العدة والعدد، والاموال الكافية لذلك التحرك في ربيع الثاني سنة (718هـ/1318م) وانضم لهم من امراء النصارى، وصل الى خمسة، وعشرون اميرا، وكانوا عازمين على استئصال الاسلام من الاندلس، وكانت الاعداد كبيرة تصل إلى خمسة وثلاثين الف فارسا، ومائة من الرجالة المشاة مقابل جيش غرناطة قليل العدة، والعدد(الناصري، 1997، ص108) ، وكان المخلوع نصر ابا الجيوش في وادي آش مظاهرا، وموالیا للنصارى ضد أبا الوليد إسماعيل(لسان الدين، 1928، 207/1؛ اللمحة البدرية، د.ت، ص71) .

كان تحرك الاعداء، والنجاح السريع، والسيطرة على اراضي المسلمين لذلك اصروا على التهديد، والتحدي، لغرناطة، وسلطانها، وتم الاتجاه بمنازلة الجزيرة الخضراء من أجل الانفراد بها واسقاطها لقطع حلقة الوصل بين المغرب والاندلس حتى لا يصل الامداد المغربي للأندلس(لسان الدين، 1928، 207 –208) ، تجاهل سلطان غرناطة ذلك التهديد والتحدي، واخذ يعد العدة و يحشد القوى الداخلية ويعمل على رص الصفوف لمواجهة تحديات قشتالة علما انه لم يكن بمستوى تحدي جيش قشتالة في حينها ولم يصل على امدادات خارجية من بني مرين لعدم تسليمه شيخ الغزاة لهم مما اضطره الى الاعتماد على القوة الداخلية ورفع مستويات مقاتليه(ايرفينغ، 1996، ص101) ، قام سلطان غرناطة أبا الوليد معتمدا على السرعة والمباغتة بتدابير داخلية وخارجية، على الصعيد الداخلي قام بتحصين الجزيرة، وجهز الاساطيل على البحر(الناصري، 1997، ص187) .

اعتمد ابا الوليد سلطان غرناطة على قوته الداخلية، والذاتية بقيادة شيخ الغزاة وكانت من الوقائع المهمة في معركة البيرة من جماد الاولى سنة (719هـ/1319م) وكان عدد جيش غرناطة ما يقارب "ستة الآف"(لسان الدين، 1928، 208/1؛ المقري، 1388 هـ، 449/1؛ الحجي، 1981، ص542) ،

وباغتهم مع مئتان من الابطال وظن النصارى انهم خرجوا لأمر غير القتال فكان الصدام المباشر، وقتل منهم عدد غير قليل وفر الآخرون واعترض قسم منهم على نهر شنيل(العمري، 2002، 227/4) وغرق قسم منهم وكانت المناوشات بينهم ما يقارب ثلاثة ايام وهب اليهم اهل غرناطة لجمع الغنائم واخذ الاموال، والاسرى، وكان من السبي سبعة الاف من ضمنهم زوجة بطرة ، واولاده، ومن الذهب ثلاثة واربعون قنطار، وثلاثة واربعون قنطارا من الفضة(لسان الدين، 1928، 208/1؛ المقري، 1388 هـ، 450 –451؛ ايرفينغ، 1996، ص101) ، وكانت اموال عظيمة استولى عليها جيش غرناطة (لسان الدين، 1928، ص 208؛ المقري، 1388 هـ، ص 450؛ ايرفينغ، 1996، ص 101) ، وكان ذلك في هضبة البيرة أو موقعة البيرة(القلقشندي، 1981، ص 262؛ الناصري، 1997، ص 109) ، وكان عدد القتلى خمسون إلى ستون الف، ونفس العدد ماتوا غرقا لعدم معرفته بالطرق، والشعاب، وقتل امرائهم الخمسة، والعشرون(لسان الدين، 1928، ص 208؛ القلقشندي، 1981، ص 262؛ عنان، 1997، ص 120) ، وطالت مدة البيع في الغنائم، والسبي ستة شهور، وكان لهذا النصر الصدى الواسع في سائر البلدان ولم يستشهد من المسلمين الا العدد القليل(المقري، 1388 هـ، ص 451) ، وتم قتل بطرة وسلخ وحشي جلده بالقطن، وعلق على مدخل باب غرناطة ما يقارب السنة(لسان الدين، 1928، ص 208؛ القلقشندي، 1981، ص 262؛ الناصري، 1997، ص 110) ، واثبت ذلك لسان الدين بقوله:(وتثبتاً لتخليد الفخر. ومن الغريب أنني في هذه الأيام بعد خمسين سنة تماماً ... ولما كشف عن الرمة لتنقل إلى وعاء ثان، ألفى بعظم القطن العريض منها ، سنانٌ مرهب ثبت في العظم، انتزع منه، وقد غالبتني الرقة والإجهاش، وقلت اللهم ادخر رضوانك لمن أودع في هذه الرمة الطاغية) (الاحاطة، 1928، ص 208) كان، وجود جثة الطاغية التي لم يبقى منها فقط سوى العظام، حيث ترحم لسان الدين للسلطان أبا الوليد(الاحاطة، 1928، ص 208) ، وكانت من نتائج نصر المسلمين على العدو هو الهدنة(المقري، 1388 هـ، ص 451؛ عنان، 1997، ص 120؛ عبد الله، 1996، ص 99) .

بعد تلك المعركة المهيبة التي، وصل صداها للدول المجاورة لغرناطة، تنفس اهل غرناطة الراحة، لاسيما بعد موت المخلوع نصر ابا الجيوش (722هـ/1322م) (الطوخي، 1997، ص 35) ، في وادي آش الذي كان قد طلب العون من النصارى ضد أبا الوليد من اجل اعادة سلطانه في حيث استقامت الحياة الداخلية بعد موته، واجتمعت الكلمة للجهاد، وكان منوال الجهاد مستمر على قدم وساق ضد النصارى بعد موقعة البيرة(لسان الدين، 1928، ص 13؛ عنان، 1997، ص 223) .

ـ القوة البحرية.

كان للقوة البحرية وقادتهم الذين سطروا اروع الامثلة والملاحم والتضحيات في الجهاد البحري ضد الاسبان وان تلك السفن او الاساطيل لا بد وان يكون لها قادة مخضرمين، ومن الاسر المعروفة ولها باع طويل في البحرية ولذلك تم اخذ التدابير على من يتولى قيادتها، وكان من اشهر قادة الاسطول ايضا من أسرة الرنداحي(لسان الدين، 1928، ص 246) حيث تسنم قيادة الاسطول في سبتة سنة

(721هـ/1321م) يحيى الرنداحي(ابن خلدون، 1984، ص 497) ، ونائب الاسطول في المنكب أبا علي الرنداحي (ت،755هـ/1354م) (لسان الدين، 1928، ص 24؛ ابن عذاري، 1986، ص 84) ، وتم أخذ التدابير برصد المبالغ المالية والرواتب المجزية وزيادتها لهؤلاء القادة(العبادي، 2000، ص 399) ، واخذ اهل غرناطة وسلطانهم تدبيرا من اجل صد العدو ورغبتاً منهم على استمرار السلم والسلام مع المغرب ومن اجل ان تبقى البحار مفتوحة مع بني مرين من اجل نجدتهم من الاعتداء الخارجي اخذوا تدبيرا بالصلح والتنازل للسلطان ابي الربيع عن بعض قواعدها الجنوبية المطلة على المضيق منها رندة والجزيرة الخضراء وطريف وتكون حمايتها من مسؤولية المغرب(ابن خلدون، 1984، ص 317؛ الناصري، 1997، ص 101؛ العبادي، 2000، ص 400) .

ب: التدبير السياسي الخارجي وتجديد المعاهدات مع قشتالة واراغون.

عقد أبا الوليد معاهدة الصلح مع قشتالة بناءً على طلبها شخصيا من اجل القيام بعقدها(المقري، 1981، ص 451؛ عنان، 1997، ص 120؛ عبد الله، 1996، ص 99) ، ومن جانب آخر جدد سلطان غرناطة إسماعيل المعاهدة مع " ملك أراجون خايمي الثاني" سنة (721هـ/1321م) ومن بنودها(عنان، 1997، ص 120؛ عبد الله، 1996، ص 99-124) .

ج: التدبير السياسي والعسكري الخارجي ضد مدن وحصون النصارى.

قام السلطان إسماعيل أبا الوليد، بالهجوم العسكري الملحوظ في رجب سنة (724هـ/1323م) (لسان الدين، 1928، ص 72) ، وكانت بوادر القوة للدولة واضحة بعد توقع النصارى أنها شارفت على الانتهاء حيث هاجم حصن أشكر(لسان الدين، 1928، ص 209؛ عنان، 1997، ص 223) ، في بداية مدينة بسطة، واستخدم بفتحة الاسلحة المتطورة حيث قذفه بالنار، والحديد المصنوعة من النفط وهذا السلاح استخدم لأول مرة في الاندلس(الطوخي، 1997، ص 36) ، قال عنه لسان الدين :(ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج المنيع من معقله ، فاندفعت يتطاير شررها) (لسان الدين، 1928، ص 209؛ اللمحة البدرية، 2001، ص 72) ، ونزلت على رؤوسهم كالصواعق فتم فتحه ونزلوا لحكمه بالقوة في رجب سنة (724هـ/1323م) وقال ابو زكريا بن هذيل لوصف آلة النفط: "وظنوا بأن الصعق والرعد في السماء.. فحاق بهم من دونها الصقع والرعد"(لسان الدين، 1928، ص 209؛ اللمحة البدرية، 2001، ص 72) .

وتحرك بالهجوم على إلى مدينة مرتش(لسان الدين، 1928، ص 209) ، في رجب سنة (725هـ/1324م)، واستخدم بكثافة آلة الحرب الجديدة اكثر مما استخدمها في حصن "أشكر" وسيطر على المدينة وعاث بهم تدميرا وخرابا وحدثت بالنصارى الفتن والغوغاء من الصغار والكبار ورجع إلى غرناطة بالنصر المؤزر بعد هذا الغزو ودخل غرناطة محملاً بالغنائم والسبي في نهاية رجب من السنة اعلاه(لسان الدين، 1928، ص 209 -210؛ اللمحة البدرية، 2001، ص 73) ، وكان اخرة هجوم له

من السنة اعلاه، وقتل على اثرها من قبل ابن عمه محمد بن إسماعيل صاحب الجزيرة(الطوخي، 1997، ص 37) .

د: التدبير السياسي الخارجي تجديد المعاهدات واطلاق أسرى النصارى.

في سنة (725هـ/1324م) تسنم السلطة أبا عبد الله محمد الرابع بن إسماعيل بعد وفاة ابيه أبا الوليد إسماعيل، ومن اول تدابير ونشاطه السياسي الذي قام به على المستوى الخارجي تجديد معاهدة الصلح التي انتهت تاريخها في سنة(721هـ/1321م) حيث وافق محمد الرابع على بنود المعاهدة لخمس سنوات مبيناً له رغبته على التجديد بناءً على طلب ملك أراغون جايمش الثاني، وصادق على المعاهدة ملك اراغون الجديد الفونسو الرابع سنة (727هـ/132م) (عنان، 1997، ص 121؛ عبد الله، 1996، ص 129) ، وعبرت سلطة غرناطة عن حسن النية تجاه اراغون حيث اخذ سلطانها تدبيرا خارجيا، واطلقت ما لديه من المحتجزين، واتجه بالبحث عن المفقودين في اراضي الصلح التي بينهم(عبد الله، 1996، ص 129) ، وبعد سنة مضت على المعاهدة تعرض خمس تجار اندلسيين للاحتجاز هم واموالهم من قبل سلطة اراغون ومن يمثلها وهذا التصرف يؤدي إلى الاخلال في بنود المعاهدة بين الطرفين قام على الفور سلطان غرناطة بأرسال رسالة وبسرعة فائقة ومباشر إلى ملك اراغون في سنة (727هـ/132م) مفادها يطلب منه الوفاء بالميثاق الذي بينهم والافراج عن المحتجزين مع اموالهم وبتحريض من قشتالة رفض ذلك الطلب من قبل اراغون، واعلنت ايقاف عملها بالمعاهدة مع غرناطة من مايس سنة (730هـ/1329م) وقرر ملك اراغون وقشتالة استئناف القتال ضد غرناطة(عنان، 1997، ص 121؛ عبد الله، 1996، ص 129) .

هـ: التدبير السياسي الخارجي والعسكري في الحروب .

كان محمد الرابع له صولات، وتدابير من أجل الجهاد الخارجي ضد النصارى قام بأرسال حاجبه رضوان في بداية السنة من محرم سنة (732هـ/1332م) من اجل غزو العدو من جهة المشرق على بلاد، لورقة، وقشتالة، ومرسيه، وتمادى على ارضهم، واتجه إلى الحصون منها حصن المدور (ابن سعيد المغربي، 1955، ص 227؛ القلقشندي، 1981، ص 219) الذي كان ذات مناعة، وتحصين محكم لكثرة التجار واصحاب الاموال فيه كان محصنا تحصين تام، واشرف على ارضهم، وسيطر على ذلك الحصن المنيع بالقوة في محرم من نفس السنة اعلاه، ورجع ومعه الكثير من السبي والغنائم(لسان الدين، 1928، ص 292؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 79) .

بعد توطيد، واخماد المشكلات، والفتن في الداخل من اجل، وضع الاسس الادارية الداخلية في سلطنة غرناطة اتجه بالتدبير الخارجي لصد هجمات العدو، وذلك عندما، وردت رسائل للنصارى في الخارج عن المشكلات الداخلية في غرناطة استغل الوضع ملك اراغون وقام بمهاجمة ثغر بيرة(ياقوت الحموي، 1980، ص 526؛ لسان الدين، 1980، ص 4) وما جاوره من الحصون، اتخذ محمد الرابع بتدبيره على عنصرين هامين هما السرعة، والمباغتة ضد الاعداء، حيث اسعفه حسن تدبيره باتخاذ جملة

من القرارات في انقاذ السلطة من الاعداء في الخارج ، والثائرين عليه في الداخل(لسان الدين، 1928، ص 291؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 80) ، وثانيها قام بتصفير المشكلات في الداخل من الثائرين لا سيما مع ابي العلاء، وارجاعه الى منصبه، ودعوته لرد العدو(الطوخي، 1997، ص 37) ، وثالثها بالنسبة إلى عم السلطان الذي بايعه الثائرون قد اعيد إلى تلمسان، ورابعها الاتجاه إلى المغرب بطلب العون ضد اراغون التي نقضت المعاهدة، واستغلت الوضع الداخلي في غرناطة، وقلة امداد المغرب لغرناطة حيث كان ذلك القرار من القرارات الشجاعة والمهمة(لسان الدين، 1928، ص 309؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 80؛ بروفنسال، 1956، ص 297؛ الطوخي، 1997، ص 38) .

و: التدبير السياسي الخارجي وطلب الدعم من المغرب ضد الاسبان.

اتجهت الانظار بتدبيره الخارجي الذي يعد من افضل التدابير حيث اتجه إلى ملك المغرب يدعوه للجهاد ضد النصارى بعد استقرار دولته طلب من الحاجب أبا نعيم القيام بأمره بعده فقام به احسن تدبير وكان ساعده الايمن، وعبر البحر وكان ذلك في ذو الحجة سنة (732هـ/1332م) نهاية السنة(لسان الدين، 1952، ص 80) ، ولكن عليه أن يحسن الطلب والتهذيب والسياسة الحكيمة، وعند الوصول إلى المغرب اجتمع مع سلطان المغرب أبا الحسن علي بن عثمان لكن قبل التفصيل عن عبور محمد الرابع للمغرب لا بدمن الاشارة ان جبل طارق قد سقط بسبب انشغال بني مرين في الصراعات والفتن الداخلية، وسيطر عليه النصارى سنة(709هـ/1309م) (الناصري، 1986، ص 121) ، وقام العدو بتحصينه واهمل المسلمين هذا الثغر المنيع وانشغل صاحب المغرب بالفتن الداخلية في المغرب لا سيما فتنة ابنه لذلك كان من الصعب وصول المساعدة من المغرب إلى الاندلس، وقام اهل المغرب سنة (712هـ/1312م) بإرجاع الجزيرة الخضراء في عصر أبا سعيد بن يعقوب بعد ان حصنوها وردوها إلى ابن الاحمر نصر ابي الجيوش في نفس السنة ، ذلك الوضع والعمل ابغض النصارى حيث استولى العدو على اكثر حصونها، ومنع وصول النجدة والمساعدة الخارجية من بني مرين الى الاندلس لذلك قام محمد الرابع بتدبير على ارجاع الجزيرة الخضراء للمغرب سنة (729هـ/1328م) (ابن خلدون، 2005، ص 337) .

مقابل ذلك في نهاية السنة تنازل محمد الرابع لسلطان المغرب عن مربلة، ورندة، وما يليها(لسان الدين، 1928، ص 309؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 80) ، قام سلطان الاندلس، بالعبور للمغرب في ذو الحجة سنة (732هـ/1331م) وعند، وصوله للمغرب استقبله السلطان أبا الحسن الذي تسنم السلطة بعد وفاة والده أبا سعيد(ابن حجر، 1448، 246 –247) ، عثمان سنة (731هـ/1330م)، وكان استقبال محمد الرابع من قبل سلطان المغرب في فاس احسن استقبال، واكرم قدومه مع الوفودن وارسل الناس لاستقباله، ونزل عنده بروضة المصاره ملاصقا لداره واحسن تكريمه، وبعد حديثهم، وتطرقهم عن الاسلام، والمسلمين في الاندلس، وتكالب النصارى، واجتماع الكلمة، والسيف من اجل تسليطه عليه لا سيما في جبل طاق، وجاء في حديثه عن فتنة ابي العلاء، والمشكلات التي قام بها في سلطنة

غرناطة(لسان الدين، 1928، ص 80؛ الناصري، 1986، ص 121؛ الطوخي، 1997، ص 38) ، ومن الافضل التخلص منه، وتم النقاش عن جبل الفتح، والواجب يحتم ارجاع الحصن المنيع للسلطة، وكانت في داخله حسرة على ضياع ثغور المسلمين، وكان سلطان المغرب رغم انشغاله بالمشكلات الداخلية في بلاده لا سيما فتنة أخيه علي، كان متشوقا للجهاد على منوال جده يعقوب، وان داعي الجهاد وصل عنده ، وان الاندلس الخط الدفاعي الاول من جهة الشمال عن دولته لذلك عليه رد اخطار النصارى ، حيث جعل ابنه ابا مالك(لسان الدين، 1928، ص 310؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 80) ، على راس خمسة الاف مجاهد من بني مرين، وارسلهم سلطان المغرب أبا الحسن إلى الاندلس من اجل تحرير الجبل، وجاء المدد تباعاً مع جنوده للقدوم للجهاد، وطرد النصارى من جبل طارق، كان على الجزيرة الامير مالك ابن سلطان المغرب، وترك يحيى بن طلحة وزير ابيه على جبل الفتح، وعند وصول العدو كان معسكرهم جاهزاً من العدة والعدد(الناصري، 1986، ص 122) ، على اتم صورة فنازله الامير ابا مالك بعساكره وضغط على النصارى من البر والبحر، وارسل إلى محمد الرابع سلطان غرناطة عندما كان في الجهاد الخارجي مع النصارى الذي حمل راية الجهاد ضد النصارى سنة (733هـ/1332م) في مدينة باغة(ياقوت الحموي، 2002، 326/1؛ لسان الدين، 1928، 291/1) .

ثم هجم عليها من اجل جهاد العدو، وكانت مدينة حصينة، ومنيعة، وشهيرة وكثف الحصار عليها، وسيطر عليها بالقوة حتى استصرخ اهلها وقام بتعميرها وحمايتها وبالغ في المرابطة الإسلامية عليها وكان فتحها عظيما(لسان الدين، 1928، 292/1؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 79) ، وقام بالضغط على النصارى من جهة اخرى ورغم قلة مدة حكمه قام بعد المنازلة مع النصارى وتم فتح حصن قبرة(لسان الدين، 1928، 17/1، 307/1؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 78 –79) وبيت العدو بظاهرها، واثخن فيهم وسيطر على حصن قشتالة ، وهجم بنفسه على حصن قشرة(لسان الدين، 1928، 308/1)

بقرطبة كانت الغلبة له لولا وصل الامداد لهم(لسان الدين، 1928، 308/1؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 79) ، وصل بعسكره مع المسلمين، بعد ان أتعب جيش النصارى، وهدد اسواره وكاد يتغلب عليه لولا وصل المدد النصراني للعدو، وعند وصول الخبر ان جيش المغرب، وصل لجبل طارق، امر ابن الاحمر جيش غرناطة، وعامتها والمتطوعة ولبى النداء على الفور الحاجب ابو نعيم وجاء مع اخو السلطان معاوناً له(لسان الدين، 1928، 310/1) ، وتم تنفيذ امره، وعند، وصولهم قدموا صورا من البطولة، والفداء، والجهاد، وكانت السيطرة عليه في ذو الحجة سنة (733هـ/1332م) بالقوة وتم اقتحامه وحصلوا على الاسلاب والغنائم والاموال والاسلحة والتقى بالجيش الاسلامي ثالث يوم من، وجود الجيش حيث، وصلت الميرة اليه من قبل العامة، وجيش غرناطة التي نقلوها من الجزيرة على دوابهم(الناصري، 2000، 122/3؛ الطوخي، 2005، ص 38) .

ز: التدبير السياسي والعسكري في تحرير جبل طارق.

شارك اخر ايامه بفتح الجبل الذي يعد افضل مناقبه وهدم اسواره بالمجانيق(لسان الدين، 1928، ص 79) ، مع بني مرين قابل العدو وجه لوجه في معسكر الاعداء ورجع العدو إلى معسكره وتحصن به وتوجه ابن الاحمر مسابقا وسباقاً للناس إلى مقر العدو من اجل اللقاء(الناصري، 2000، 122/3) ، وهذه شجاعة(لسان الدين، 1928، ص 307 –308؛ اللمحة البدرية، 1952، ص 78 – 79) ،ومنتهى التضحية بائعا نفسه مقابل مرضاة الله تعالى والمسلمين والتقى بالعدو وكان العدو متعجبا لشجاعته ووقف له معظماً لهذا الموقف البطولي فطلب محمد الرابع من العدو الافراج الفوري عن الجبل فوافق على طلبه من اجل احتواء السلطان ولا يستطيع رده ومنازلته لوجود جيش بني مرين، وغرناطة، فسلمه ذخائر وتحف كهدايا(لسان الدين، 1928، ص 79؛ ابن خلدون، 2000، 338/7) ، وما كان لديه وارتحل العدو واخذ الامير أبا مالك بتطهير اطراف الجبل من الاعداء، وحصن ثغوره وانزل الحامية فيه ونقل المؤن والميرة اليه وكان ذلك الفتح مفخرة للأندلس، والمغرب، ويسجل إلى مناقب محمد الرابع، ووسام شرف في صدور رجال المغرب وسلطانهم(ابن خلدون، 2000، 338/7) ، ورحل العدو ثاني ايام فتح الجبل في ذي الحجة(733هـ/1332م) (لسان الدين، 1928، ص 81) ، وركب البحر من سواحل مربلة بعد ان هاجم جبل طارق بعد ثلاث ايام من فتحه مثلما توقع المسلمين لكن دون جدوى يحصل عليها العدو(لسان الدين، 1928، 313/1) ، مما اضطره لعقد الصلح والهدنة بين المسلمين(عنان، 1997، ص 124) ، وكان اخر هجوم قام به محمد وبعدها اغتيل في السنة اعلاه من قبل المتآمرين بدفع من ابي العلاء(الطوخي، 2005، ص 38) .

ويمكن القول: ان سلطان المغرب أبا الحسن قد انفق الكثير من ميزانية دولته من اجل ارجاع جبل الفتح، ووجه اليه الرجال وحشود المتطوعة مع أحد ابنائه والكثير من ابناء عمومته وانفق مالا كثيرا في بناء أسواره وتحصينها مع الدور والابراج والجامع ونازل العدو في البحر والبر وحصن الجبل من جميع جهاته حتى اصبح كالهالة الدائرة حول البدر.

كان سبب التحصين لان كان تحت سيطرة النصارى أكثر من ثلاث وعشرين سنة لذلك كان يخشى عليه السلطان من السقوط مرة اخرى وحاصره سلطان المغرب ستة شهور وزاد تحصينه ولده عنان فيما بعد(الناصري، 2000، ص 122 – 123) .

الخـــاتمـــــة

توصلت البحث على عدة نتائج التي تفيد القارئ والمطلع منها:

1ـــ استخدم قادة غرناطة وأمراءها العيون والجواسيس في المعارك وصنوف المساعدات الاخرى مثل الادلاء والشعراء والمهندسين والحدادين، وتم استخدام الخدع العسكرية في كشف خطط الاعداء من النصارى اذ تم كشف العدو النصراني عندما تنكر بزي المسلمين وملابسهم، اما في نقل الاخبار فتم عن طريق الحمام الزاجل عن تحركات الاعداء ، وفي ايقاف بض معاركهم ضد غرناطة إذ استخدموا

القاذورات في رميها على طرق الاعداء فكانت اعظم نكاية بهم، والخدع الاخرى عقد المعاهدات بين الاعداء من اجل ترميم وتقوية الصف الداخلي وبعدها الانطلاق لمواصلة الجهاد خارجيا.

2ــ ان الانتصار الباهر في معركة البيرة من جماد الاولى سنة (719هـ/1319م) على النصارى دون مساعدة خارجية لا سيما من بني مرين لعدم تسليم غرناطة شيخ الغزاة للمغرب ان دل على شيء انما يدل على قوة غرناطة في مواجهة التحديات الخارجية واعتمادها على قوتها الذاتية وتنظيمها العسكري والاداري إذ بين لنا قدرتها على المراوغة والمناورة والمطاولة في التصدي ضد العدو النصراني.

3ــ كانت علاقة غرناطة الخارجية جيدة لا سيما مع بنو مرين اذ تم في عصر نصر ابو الجيوش التصالح مع بنو مرين وارجاع سبتة للمغرب، وضرب التحالف النصراني بين بنو مرين والنصارى هذا ان دل على شيء فإنما يدل على حنكة وقوة غرناطة الدبلوماسية الخارجية وتحديد عوامل القوة والضعف ومع من تقف وقت التحديات.

4ــ قيام سلاطين غرناطة بالمصاهرات السياسية مع بنو مرين، وتقديم الهدايا لهم لتقوية العلاقة بينهم ، وبعدها تم القضاء على التمردات الخارجية منها المتمثلة في التمرد في جبل طارق ضد سلطان المغرب والذي ادى ذلك التدبير في تحرير جبل طارق من النصارى .

5ــ كلما كانت الدولة قوية في الداخل سوف يظهر ويعكس ذلك على الشأن الخارجي، والدليل على ذلك في عصر المخلوع ساعدت غرناطة تلمسان عسكريا، ولتفوق غرناطة اخذت بالهجوم على قشتالة واحتلالها لحصون الاعداء وتم اخذ الغنائم والسبايا، وتم ارسال احد السبايا فائقة الجمال هدية لسلطان المغرب لتوطيد العلاقة بينهم.

References

1. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din, Abu Abdullah bin Saad bin Ahmed al-Salmani. (1374 CE / 776 AH). Al-Ihata fi Akhbar Gharnata (translated by Yusuf Ali Tawil). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
2. Ibn Hajar, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali al-Asqalani al-Shafi'i. (1448 CE / 852 AH). Al-Durar Al-Kamina fi A'yan Al-Mi'a Al-Thamina: Inba' Al-Ghamr bi Abna' Al-Umr fi Al-Tarikh.
3. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman bin Muhammad. (1405 CE / 808 AH). Al-'Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Ayyam al-Arab wa al-Ajam wa al-Barbar wa man 'Asarahum min Dhu al-Sultan al-Akbar (5th edition). Dar Al-Qalam.
4. Ibn Adhari, Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad al-Marrakushi. (1312 CE / 712 AH). Masalik Al-Absar fi Mamalik Al-Amsar. Al-Majma' Al-Thaqafi.
5. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Manzur al-Afriki al-Masri. (1311 CE / 711 AH). Lisan Al-Arab. Dar Sader.
6. Arslan, Amir Shakib. (1983). Kholasat Tarikh Al-Andalus. Manshurat Dar Maktabat Al-Hayat Lil-Tibaa wa Al-Nashr.
7. Arslan, Amir Shakib. (n.d.). Al-Hulal Al-Sundiyya fi Al-Akhbar wa Al-Athar Al-Andalusiyya. Manshurat Dar Maktabat Al-Hayat.
8. Al-Turki, Abdullah bin Abdul Mohsen. (2001). Al-Amn Al-Fikri wa 'Inayat Al-Mamlakah Al-Arabiyyah Al-Sa'udiyyah bihi (Lecture).
9. Al-Hajji, Abdul Rahman Ali. (1981). Al-Tarikh Al-Andalusi min Al-Fath Al-Islami ila Suqut Gharnata (2nd edition). Dar Al-Qalam.
10. Al-Raghib Al-Isfahani, Abu al-Qasim al-Hussain bin Muhammad. (1108 CE / 502 AH). Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an (translated by Muhammad Said Kilani). Dar Al-Ma'arifa.
11. Al-Toukhi, Ahmed Muhammad. (1997). Mazahir Al-Hadhara fi Al-Andalus fi 'Asr Bani Al-Ahmar. Mu'assasat Shabab Al-Jami'a.
12. Al-Abadi, Ahmed Mukhtar. (n.d.). Dirasat fi Tarikh Al-Maghreb wa Al-Andalus. Mu'assasat Shabab Al-Jami'a.
13. Al-Omari, Ahmed bin Yahya bin Fadhl Allah Al-Qurashi Al-Adawi, Shihab Al-Din. (1348 CE / 749 AH). Masalik Al-Absar fi Mamalik Al-Amsar. Al-Majma' Al-Thaqafi.
14. Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari. (1418 CE / 821 AH). Subh Al-A'sha fi Kitabat Al-Insha (translated by Abdul Qadir Zakkar). Ministry of Culture.
15. Al-Mawardi, Abu Al-Hassan Ali bin Muhammad. (1058 CE / 450 AH). Tashil Al-Nazar wa Ta'jil Al-Zafar fi Akhlaq Al-Malik (translated by Mohi Hilal Al-Sarhan and Hassan Al-Saa'ti). Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
16. Al-Maqri, Ahmed bin Muhammad Al-Maqri Al-Tilimsani. (1041 CE / 433 AH). Nafh Al-Tayyib min Ghosn Al-Andalus Al-Ratib (translated by Ihsan Abbas). Dar Sader.
17. Al-Nasiri, Abu Al-Abbas Ahmed bin Khalid bin Muhammad Al-Nasiri. (1897 CE / 1315 AH). Al-Istiqsa li-Akhbar Duwal Al-Maghreb Al-Aqsa (translated by Jaafar Al-Nasiri and Muhammad Al-Nasiri). Dar Al-Kitab.
18. Washington Irving. (1996). Alhambra: Qissat Athar Al-Hadhara Al-Arabiyya Al-Thaqafiyya wa Al-Ijtima'iyya 'ala Al-Andalus wa Isbaniya (translated by Hani Yahya Nasri). Markaz Al-Inma' Al-Hadhari.
19. Jerad, Mushtaq Talib Sarhid. Tikrit University Journal for Humanities, Vol. 28, Issue 12, Part (1) (1443 AH/2021 CE), pp. 325.
20. Sun Tzu Wu. (2006). The Art of War (translated by Raouf Shabayek).

21. Abdullah, Khalid Mahmoud. (1996). Mu'ahadat Al-Sulh bayna Al-Andalus wa Al-Mamalik Al-Isbaniyyah (635 AH – 897 AH / 1237 CE – 1492 CE). PhD Dissertation, College of Arts, University of Baghdad.
22. Anan, Muhammad Abdullah. (1980). Khatrat Al-Taif fi Rahlat Al-Shita' wa Al-Saif (translated by Muhammad Abdullah Anan). Maktabat Al-Khanji.
23. Anan, Muhammad Abdullah. (1997). Nihayat Al-Andalus wa Tarikh Al-Arab Al-Mutanassirin: Al-Asr Al-Rabi' min Kitab Dawlat Al-Islam fi Al-Andalus. Maktabat Al-Khafaji.
24. Farhat, Youssef Shukri. (1993). Gharnata fi Zil Bani Al-Ahmar. Dar Al-Jeel.
25. Levi-Provencal. (1956). A'mal Al-A'lam fi man Bu'iya Qabla Al-Ihtilam min Muluk Al-Islam (translated as "The History of Islamic Spain," 2nd edition). Dar Al-Makshuf.
26. Muhib Al-Din Al-Khatib. (1928 CE / 1347 AH). Al-Lamha Al-Badriyya fi Al-Dawla Al-Nasriyya (translated by Muhib Al-Din Al-Khatib). Al-Matba'a Al-Salafiyya.
27. Yaqut Al-Hamawi, Ibn Abdullah Abu Abdullah. (1228 CE / 626 AH). Mu'jam Al-Buldan. Dar Al-Fikr.